ندوة : المخطوط العربي وعلم المخطوطات

عبدالعزيز الساوري
وجدة - المغرب

نظمت كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط (١) ندوة دولية في موضوع : «المخطوط العربي وعلم المخطوطات أو ما يسمّى بالكوديكولوجيا» أيام ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ فبراير ١٩٩٢م .

شارك فيها «ثلة من خيرة العلماء والمستشرقين والجامعيين يعدُّون حجّة في مجال علم المخطوطات» وقد قدمت إلى الندوة مجموعة من البحوث هي :

- ملحوظات حول الخط الأندلسي : محمد بنشريفة محافظ الخزانة العامة - الرباط .
- هوداس والكتابات المغاربية: DEROCHE Francais L.C المدرسة التطبيقية للدراسات العليا - فرنسا.
- الملازم في الكتابات اللاتينية في نهاية العصر الوسيط : VEZIN Jeam المدرسية التطبيقية للدراسات العليا - فرنسا .
- حول مخطوط في صناعة الخط منسوب إلى ابن الوحيد : عبدالواحد جهداني المركز الوطني للبحث العلمي - فرنسا .
- لماذا كتب المسلمون أسبانيتهم في الأندلس بحروف عربية ؟ : بوزينب الحسين ، كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط .
- المخطوطات الإسلامية الكستيانية والأراكونية في اللغة الأعجمية : Maria Jeous VIGUERA كلية الفللوجيا - جامعة مدريد .
- مخطوط «الخاميادو» المحفوظ بالأسكوريال تحت رقم ١٨٨. BRAULIO JUSTEL CALABOZO جامعة قاديش - أسبانيا .
- توطين وتاريخ المخطوطات الأسبانية المكتوبة بحروف عربية (الخاميادو) : Gerasd WIEGERS جامعة ليدن - هولندا .
- تحديد المخطوطات بواسطة قاعدة للمعطيات لمستهلات الكتب : Hamesse Jacqueline الجامعة الدولية لمعاهد دراسات القرون الوسطى .
- المخطوط العبري صورة للمعارف اليهودية الوسطوية : أحمد شحلان مدير مكتب تنسيق التعريب - الرباط .
- المخطوطات اليهودية - العربية الوسطوية : بعض المؤلفات نموذجاً : مونسيرة أبو ملهم كلية الفللوجيا - جامعة مدريد .
- الخط المغربي والهوية المفقودة : الناجي الأمجد وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر - الرباط .
- الشيخ حمد الله الأماسي والقرآن الكريم : جورج عطية مكتبة الكونجرس - واشنطن .
- المخطوطات البربرية بالعربي تقديم ببليوجرافي : أمهان علي مديرية التراث - الرباط .
- علم المخطوطات التطبيقي - خطوط المقريزي نموذجاً : WITKAM Jeam مكتبة جامعة ليدن - هولندا .
- الكوديكولوجيا : المفهوم والأهداف : طريف السمان المكتبة الوطنية بفينا - النمسا .
- تقنيات إعداد المخطوط العربي : محمد المنوني - كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط .
- مشروع فهرسة المخطوطات الأندلسية في العالم : Peter Sjoerd Van Kaningsveld جامعة ليدن -

هولندا .

- ورقة من كتاب سيبويه على ضوء مخطوط قديم : Humbert Genevieve المركز الوطني للبحث العلمي - فرنسا .
- علم المخطوطات والتحقيق العلمي : أحمد شوقي بنبين كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط .
- الوصف الكوديكولوجي في فهارس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية الفرنسية Guesdon Marie Genevieve المكتبة الوطنية - باريز .
- أهمية عبدالله بن الحيا (٩٧ - ١٧٤هـ/٦١٧ - ٧٩٠م) قاضي مصر ومكتبته الخاصة في تصنيف وتوزيع كتب القرنين الأول والثاني الإسلامي : الخوري رئيف جورج جامعة Heidelbesg - ألمانيا .

في الجلسة الافتتاحية قال أحمد شوقي بنبين رئيس اللجنة التنظيمية للندوة إن «دراسة المخطوط العربي على ضوء معطيات علم المخطوطات الحديث موضوع جديد لم يهتم به حتى الآن في معهد أو جامعة وهذه سابقة علمية يمكن لكلية آداب الرباط أن تعتز بها وتفتخر» (٢) .

ومصطلح الكوديكولوجيا في نظره يهدف «في دراسة المخطوطات إلى شيأين :

١ - دراسة كل أثرللكتابة في المخطوط باستثناء المتن أو النص بالتعبير المعاصر .

٢ - البحث في العناصر المادية للمخطوط» .

وأكد شوقي بنبين أن غاية هذا العلم هي «دراسة كل ما يحيط بالمتن من حواش وتعليقات وتفسيرات وإضافات ووقفيات ، وكل ما من شأنه أن يساعد على التعريف بالمخطوط وبصاحبه وتأريخه وبمن تملّكه وقرأه ونسخه وبكل ما له علاقة بالمحيط التاريخي والجغرافي للمخطوط ، وأخيراً دراسة الوعاء وطريقة صناعته وتركيبه كالبحث في نوع الجلد والورق والملازم وغيرها من الجوانب المادية والتقنية التي درسها علماء الفيلولوجيا بالنسبة للمخطوط الغربي وحتى بالنسبة للمخطوط العبري» .

وتأسف أحمد بنبين أن «المخطوط العربي بقي يفتقر إلى هذا النوع من البحث والدراسة، وينتظر من المهتمين بشئون التراث من ينفض عنه الغبار لا للاهتمام والاستفادة من متنه ومحتواه فقط ، ولكن لدراسته كقطعة مادية بصرف النظر عن موضوعه ومادته العلمية» .

ثم طرح الباحث مجموعة من «التساؤلات طالما حيّرت الباحثين في مجال التراث ، فمثلاً ما معنى السِّفْر ، السُّفَيْر ، المجلد ، الجزء ، الكراسة أو الكرّاس؟... إلخ، ماهي الفهرسة؟ ماهي حدودها؟ حتى الآن ليس لدينا تحديد نهائي يُجمع عليه الباحثون في مجال التراث ، كيف ظهرت «التعقيبة» (٣) كنوع من الترقيم في المخطوط العربي . ؟

وهل كان ظهورها في المخطوط العربي الوسيط من تأثير المخطوط الغربي. ؟» .

وخلص الباحث إلى أن هذه الندوة «على الرغم من تنوّع محاورها فإنها لن تجيب عن كل التساؤلات المطروحة بقدر ما تهدف إلى إشعار المهتمين بشئون المخطوطات وكل الذين لهم غيرة على هذا التراث بأن المخطوط العربي وتاريخه لازال حقلاً بكراً ، وأن البحث في عناصر الكوديكولوجيا يمثل المرحلة الأولى والأساسية في عملية نقد النصوص» .

وفيما يلي مُضمَّن بعض المداخلات :

* تقنيات إعداد المخطوط المغربي لمحمد المنوني : تركزت المداخلة على أدوات الوراقة التي استخدمها المغرب عبر العصر الإسلامي الوسيط والحديث ، وتناولتها من جهة خصوصيات المغرب الوراقية .. وفي هذا الإطار انطلق الباحث - أولاً - من خصوصية استمرار الغرب الإسلامي في عصوره الأولى على كتابة المصاحف الشريفة في الرق دون الورق ، لما أثار ملاحظة البشاري في «أحسن التقاسيم» .. ومع انتشار الورق بالمغرب يسجل القلقشندي : ق ١٤ ، أن المغاربة - لعهده - لا يزالون يكتبون القرآن الكريم على الرق .. على أن الوثائق الرقية امتدت كتابتها بالمنطقة حتى ق ١٨ .. ومن المؤشرات لهذا الاستمرار، ما يتوفر عليه المغرب - إلى الآن - من مخطوطات رقية كتباً ووثائق محفوظة في الخزانات ولدى

الخـواص . . ومن الرق انتـقل البـاحث إلى الورق ، فلاحظ – أولاً – احتفاظ المغرب باسمه الأصيل: الكاغد، كما أن أحد المغاربة من سوس أسهم في عمل ورق اليد ، وهو كاغد في نهاية الدقة ، فيصنعه ويكتب فيه بخطه الدقيق ، وهو ابتكار أثار تمجيد المهتمين قدماء ومحدثين .. ويضاف لهذا أن المغرب تأثر في بعض أعـمـالـه بشكل الكتـاب عند الرومـان ، فاستمر المغاربة في وثائقهم العدلية ، يخرجونها في ورق طويل تلطق صفحاته بعضها ببعض .. وفي بعض جهات المغرب كانوا يستعيضون عن الورق بالكتابة على ألواح خشبية ، فيدونون عليها الإشهادات العدلية والقوانين المحلية .. وفي قطاع الأمدة استعمل المغرب المداد المطيب ، كما هو واقع مصحف أبي الحسن المريني الباقي بالقدس الشريف، فكان مداده من فتات المسك وعطر الورد ، ثم مصحف المنصور السعدي بالأسكوريال ، وقد كتب بالمداد المقام من فائق العنبر ، المتعاهد السقيا بالعبير المحلوك بمياه الورد والزهر .. ويفهم من وفرة الرق بالمغرب ، أن كتبته كانوا يتوفرون على المداد الخاص بهذا الصنف، وهو حبر أحمر موصوف عند المختصين .. وإلى هذا كان بعض المغاربة يتوفر على أشياء يكتب بها كالأمدة ، ولا تظهر الكتابة حتى تعالج .. وأول ذكر لمواد التذهيب في المخطوطات ، يصعد إلى أواخر ق ٦/ ١٢ ، وبالضبط في مخطوطة من «محاذي الموطأ» لابن تومرت وما معه ، فيأتي في ذيلها : وكتب وذهب بمدينة فاس حرسها الله ، وكان تمام جميعه في الثاني عشر من صفر الخير ، عام ثمانية وثمانين وخمسمائة .. وتتضح خصوصية المغرب في هذه الناحية ، إذا لاحظنا تميز المغرب فيما يتوافر من مخطوطات ذهبية زخرفية ، مما قد لا يتوافر في جهة أخرى إلا قليلاً .. وإلى المباشرين لهذه العملية أسهم بعض المؤلفين في التعريف بها، والقصد – أولاً – إلى مؤلف في صناعة التسفير ، حيث يخصص من مؤلفه باباً لصفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء ، وصفة الكتابة به على الورق والجلد ، وقد عاش هذا المؤلف في العصر السعدي ، وفي العصر العلوي مؤلف فنان من تطوان «كتاب صنعة الروافد» .. كما أن السلطان العلوي محمد الثالث أسس بفاس شبه مدرسة لتعليم الزخرفة في الكتب .. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الصناعة ترسخت بالمغرب إلى القرن ٢٠ .. وقد عرف المغرب خصوصيات في أوعية الأمدة : محابر ضيعة ، وبعض أقلام ذهبية ونحاسية مذهبة ، ومحمل للكتب غريب الشكل برسم أبي سالم المريني إلى وضع خاص لمسطرة الأوراق ، ولتلوين الكتابة استعمل المغرب الظرف المشهور باسم المجمع ، وتتعدد فتحاته بتعدد الأصباغ المطلوبة ، حتى تصل حيناً إلى ١٣ فتحة . وأخيراً ، فإن المغرب السعدي شاع فيه تنشيف الكتابة بسحيق الذهب بديلاً عن استعمال الرمل خالطاً أو مخلوطاً .

* التحقيق العلمي وعلم المخطوطات لأحمد شوقي بنبين : سعى هذا العرض إلى جعل الباحثين عموماً والعاملين في حقل التحقيق العلمي خصوصاً يشعرون بالعلاقة العضوية التي تربط بين هذه العملية العلمية وبين ما يسمى بعلم المخطوطات . فباستثناء الفهرسة التي خضع لها جزء من تراثنا المخطوط التي تعدّ بحق عنصراً من عناصر هذا العلم فإن المخطوط العربي لم يدرس بعد دراسة مخطوطية يستفيد من خلالها من كل عناصر الكوديكولوجيا كما استفاد منها صنوه اليوناني واللاتيني والعبري ، ويوم يخضع المخطوط العربي لهذه الدراسة فإن النتائج التي تتمخض عنها هذه الدراسة ستلزم المهتمين بشئون التراث والتحقيق إلى إعادة النظر في كل ما حقق من كتب التراث منذ بداياته على يد المستشرقين حتى الوقت الراهن .

– الشيخ حمد الله الأماسي والقرآن الكريم لجورج عطية : تقتني مكتبة الكونجرس الأمريكي مخطوطة نادرة وجميلة جداً لأجزاء من القرآن الكريم على الأرجح بقلم الخطاط التركي الشهير ياقوت حمد الله الأماسي (١٤٣٧ – ١٥٢٠م) ولسوء الحظ أن هذه المخطوطة لم تدرس بعد دراسة كافية من ناحيتها الفنية والتاريخية والحضارية . بعض أوراق هذه المخطوطة باللون الوردي ومنقطة بتوريقات ذهبية

ضمن رقعات الخطوط ولكن ما يميزها هو مقدمتها بصفحتين باللون الأزرق والذهب بالغة الجمال ونادرة في تلك المدة .. وأما الخاتمة التي ينتهي بها النص وتتضمن اسم الناسخ وتاريخ النسخ فحبرها ملطخ مما يجعل قراءتها صعبة ويدل سطح الورقة الأخيرة على أن هناك من حكها في محاولة لمحو الاسم .. وقد حاول الباحث وصف هذه المخطوطة والطريقة العلمية التي اتبعت للتحقق من اسم الخطاط وأشار إلى أهمية الشيخ حمد الله في تاريخ الحضارة الإسلامية .

* الخط المغربي والهوية المفقودة للناجي الأمجد : سعى هذا البحث إلى محاولة إبراز الكتابة العربية بالمغرب .

- تجذر هذه الكتابة لتصل إلى أنموذج الخط المغربي .
- التقعيد لهذا الخط من طرف مبدعيه بنوع من المعيارية .
- إسهام المخطوط المغربي في إرساء دعائم التواصل على المستوى المعرفي .
- إشكالية الهوية تبدأ أساساً منذ الانفتاح على ثقافات أخرى ظل الخط المغربي لصيقاً بها مدة ليتحول بعد ذلك إلى نكران الهوية .
- كيف سيتم الإشعار والوعي بتراث يكاد أن يندثر ؟ إعادة هذه الهوية ؟ .
- التركيز على الجانب التعليمي بمناهجه وكيفية إدماج هذا النوع من المخطوط في المقررات .
- رعايته وفق مخططات تنصب في الوعي بجمالية معاصرة .

* حول مخطوط في صناعة الخط منسوب إلى ابن الوحيد لجهداني عبدالواحد : رغم ضخامة التراث العربي الإسلامي فيلاحظ ندرة المخطوطات التي تتحدث عن الكتاب من حيث صناعته وتكوينه .. وفي العصر الحاضر انصب جل اهتمام الباحثين في التراث العربي نحو مادة الكتاب العربي المخطوط سواء من أجل الدراسة أو من أجل التحقيق والنشر .. ومع ظهور علم الكوديكولوجيا - علم دراسة المخطوط نفسه - وازدياد الاهتمام به في العالم الغربي ، انبرى عدد قليل من الباحثين في العالم الإسلامي إلى الاهتمام بالكتاب العربي المخطوط وفق معايير هذا العلم .. والمخطوط الذي قدمه الباحث ، والمسمى بـ «لمعة المختطف في صناعة الخط الصلف» ، الموجود بالمكتبة البلدية بمدينة ليون [فرنسا] والمنسوب إلى العلامة ابن الوحيد ، يعدّ أثراً جديداً في موضوعه يضاف إلى الآثار القليلة التي نشرت في هذا الباب .

* لماذا كتبت عجمية الموريسكيين بحروف عربية؟ الحسين بوزينب : وإننا اليوم نضع تحت عبارة ALJAMIA أو LITERATURA ALJAMIADA ذلك النتاج الأدبي المكتوب بلغة المدجنين والموريسكيين الرومانسية ولكن بحروف عربية ، ويجب أن لا ننسى أن العجمية بالنسبة لهؤلاء كانت تتخطى هذه الحقبة القريبة لتمتد إلى تلك السابقة التي كانت بالطبع أقل أو نتاجية منها ، إننا سنجد بدون شك ، أن هذه المدة (فترة المدجنين والموريسكيين) أفرزت نتاجاً ناضجاً في غاية الأهمية والسبب في غياب تطور لهذه الظاهرة في الحقب التي زرعت فيها البذرات الأولى يرجع إلى عدم توفر الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ستعرف زمن المدجنين والموريسكيين . فالتطور الحاصل في الخريطة اللغوية الأندلسية نتيجة التحولات الاجتماعية العامة خلال فترة الاسترجاع المسيحي للأراضي الأندلسية سيكون هو المنطلق للظاهرة الأعجمية في صورتها الناضجة .. إن منهجية الباحث في دراسته توخّت وضع تسلسل وإن لم يكن كاملاً للظاهرة الأعجمية ، فعلى الأقل سيحاول تقديم طرحاً ممكناً لذلك التسلسل يرتكز على تتابع للأشياء يتحاشى كل تعليل بواسطة ظواهر غير عادية ، وطرح المداخلة يتلخص في عدّ أعجمية الخامس عشر والسادس عشر مرحلة نضج نهج لغوي انطلق من فترة وصول العربية إلى الأندلس وليست من ابتكار مراحل متأخرة كما يقول بعض الباحثين مثل L . P .HARVEY الذي عدّ أن مفتي SEGOVIA عيسى بن جابر (القرن الخامس عشر) هو الباعث لهذا الأدب الأعجمي . وقد سانده في هذا الطرح باحثون آخرون أمثال MIKEL DE EPALZA .

* المخطوط العبري صورة للمعارف اليهودية الوسطوية لأحمد شحلان : إذا كان مضمون مخطوط من المخطوطات ، في علم من العلوم ، يعدّ هدفاً في حد ذاته ، بوصفه وعاءً معرفياً يقصد منه اكتساب المعارف لتدبير المجتمعات أو حفظ الأبدان ، أو لبناء الأساس المنطقي للتدبير في الخالق والمخلوق ، فإنه زيادة على ذلك ، يعبّر عن ثقافة العصر واهتمام الإنسان وهمّ الحاكم والمحكوم ، ويكون أداة تاريخية غير مباشرة لما هم الصقع الذي ظهر فيه ، اعتقاداً سياسياً أو معتقداً إيمانياً . كما يعكس الفورة الاجتماعية أو الفكرية التي كان ذاك العصر تربتها يرفدها بما تجمع لديه من عناصر إنسانية أو تيارات فكرية أنتجها هذا المجتمع أو حملت إليه حملاً .. ومحتوى المخطوط ، في ضمه الموضوع الواحد أو المواضيع المختلفة ، رمز في حد ذاته لا يخلو من خلفية فكرية لها دلالتها . والأدوات المادية عينها التي كونت هذا المخطوط من وَرَق أورقٍ ، من مداد أو أصباغ ، تعكس مستوى حضارياً له قيمته الفنية ومقدراته الأيديولوجية . كما أن الملاحظة العابرة التي يضعها صاحب المخطوط ، أو أحد قرائه في الهامش أو في الورقة المدخل أو الورقة الختام ، تصبح لها قيمتها التاريخية التي تنضاف إلى القيمة المعرفية الأصلية التي احتواها المخطوط .. لقد كان لملاحظة الباحث المتأنية وتأملاته المتواضعة في المخطوط العبري الوسطوي ما أكد كل هذه الحقائق التي أشار إليها ، لذلك جاء إسهامه متواضعاً .

الهوامش

(١) بالتعاون مع مؤسسة كونراد إدناور الألمانية .

(٢) سبق لمؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء أن نظمت ندوة دولية عن «المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي – وضعية المجموعات وآفاق البحث» سنة ٨٨ – ٨٩ ، وقد طبعت بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة ١٩٩٠م .

(٣) هي الكلمة الأخيرة التي تكون في أسفل الصفحة اليمنى من الكتاب ، لتدل على بدء الصفحة التي تليها ، فربما يتوهم قارئ أن ذلك تكرار مع مبدأ الصفحة الموالية ، غير أن الواقع خلاف هذا ، وإنما هو نظام يتبعه الناسخون لضبط أوراق المخطوطة ، خشية أن تزيح عن مواضعها ، وتسمى هذه الكلمة عند المشارقة: (التعقيبة) أو (التعقيب) ، وفي المغرب تعرف باسم (الاستخراج) أو (الوصلة) ، وفي الأندلس تعرف باسم (الرقّاص) . انظر : المصادر العربية لتاريخ المغرب (الفترة المعاصرة ١٧٩٠ – ١٩٣٠) - محمد المنوني ٢ / ٣٥٣ سلسلة الدراسات البيبليوجرافية رقم (١) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط ١٤١٠ – ١٩٨٩ .